
4
قصص
المبشرون
بالجنة
سلوى العنانى
التلميذ
العظيم
دار اللطائف

التلميذ العظيم

(الإمامُ علىٌّ بنُ أبى طالبٍ)

هذا فتى هاشمىُّ الأبوين .

أبوه (أبو طالب بنُ عبد المطلب بنِ هاشمٍ بنِ عبدِ مناف)

وأُمهُ (فاطمةُ بنتُ أسدٍ بنِ هاشم بنِ عبدِ منافٍ) .

فى هذا البيتِ الكريم قضى (النبىُّ محمدٌ) سنواتٍ طويلةً من شبابِه وصباه .. وجد من عمّهِ (أبى طالب) عوضا عن الأب والجد اللذين فقدهما .. كما وجد قلبَ الأمّ عند فاطمةَ زوجةِ عمه وبنت عم أبيه التى أولته حنانَها ورعايتها ..

جلس (محمدٌ) يوما إلى الطعام مع أسرةِ عمّه ، فلاحظ علاماتِ الإرهاقِ على زوجةِ عمّه ، فسألها إن كانت تنتظر مولودًا ؟ .. وتوجه بالحديث لعمّه ..

ـ "إن كانت حاملا أنثى فزوجنيها" .

فقاله له عمه أبو طالب : "إن كان ذكرا فهو لك عبدٌ .. وإن كانت أنثى فهى لك زوجة" ..

فلما جاء المولودُ ذكرا فرح به محمدٌ وأسماه (عليا) .

كان (محمدٌ) يصر دائما على أن يكونَ له عملٌ .. فهو يأبى على نفسه أن يعيش عالةً على عمِّه .. فخرج يرعى الأغنامَ فى ضواحى (مكةَ) إلى أن شبَّ ونما .. فطلب أن يرافقَ عمَّه فى رحلة التجارة إلى الشامِ .. وعُرف عن (محمدٍ) الأمانة والصدق والبر ، فأستأمنتْه (خديجةُ بنت خويلدٍ) على مالها ، فخرج به فى تجارة ، وعاد بخيرٍ كثيرٍ فلما رأت منه جميلَ الخصالِ تزوجته .. وانتقل للحياة معها تاركا بيت عمِّه (أبى طالبٍ) .

كان (محمد) بارًا بعمه وبأسرتِه .. دائمَ الزيارةِ له .. مانحا كل حبه ورعايته (لعلى) .. الفتى الصغير الذى كان شديدَ التعلقِ بابن عمه (محمد) .

تعرضتْ قريش لأزمةٍ ومحنةٍ .. فقال (محمد) لعمه (العباس):

ـ "إن أخاك (أبا طالب) كثيرُ العيالِ ، وقد أصاب الناسَ

ما ترى من هذه الأزمةِ .. فانطلقْ بنا إليه فلنخففْ عنه من عيالِه .. آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فتكفُلُهما عنه" .

وضم (محمد) (عليا) إلى كنفه ..

وضم (العباس) إليه (جعفرا) .

فى بيت (محمدٍ) عاش (علىٌّ) حياةً سعيدةً .. فقد كان متعلقا بابنِ عمه منذ تفتحت عيناه على الحياةِ .. فكم داعبه صغيرا وكم لاعبه وعلّمه وأطعمه .. وهو يتعلم منه اليوم مبادئ الرجولةِ ودروسَ الحياةِ ..

وجاء الوحيُ إلى (محمد عليه السلامُ) أن {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : 1 ـ 2] .

دخل (علىٌّ) البيتَ فرأى (محمدا عليه السلام) واقفا ومن خلفِه وقفتْ (خديجةُ) .. تقومُ مع قيامِه ، وتركعُ مع ركوعِه .. وسمعهما يتلوان كلامًا لم يسبقْ له أن سَمِعهُ ولما انتهيا مما كانا فيه سألهما ..

ـ "لمن تسجدان ؟ "

فأجابه محمد :

"إنما نسجد لله الذى بعثنى نبيا ، وأمرنى أن أدعو الناسَ إليه" .

ودعا (محمد) (عليًا) إلى الدخول فى الديـن الجديـد وإلى عبادة الله الواحد الذى لا شريك له ..

وقرأ (محمد) بعض ما أنزل إليه من الذكرِ الحكيمِ فانبهرَ (علىٌّ) من سحرِ البيانِ وجمالِ المعنى ، ولكنه استأذن فى أن يشاورَ أباه فى أمرِ هذا الدينِ قبل أن يُؤمنَ به .

قضى (علىٌّ) ليلته مؤرّقا يفكّر فيما سمعه من ابن عمـه ، وفى الصباحِ أعلن إسلامَه دونَ الرجوعِ إلى أبيه .. وقال :

ـ "لقد خلقنى الله من غير أن يُشاورَ (أبا طـالب) ، فمـا حاجتى أنا إلى مشاورته لأعبدَ الله ؟ " .

هكذا أصبح (علىٌّ) ثانى من دخل الإسلامَ بعد خديجةَ .. وأولَ صبىٍّ يعتنقُ هذا الدينَ .

كانت ليلــةً مقمـرةً .. نسـيمها طيـب .. جلـس (محمـد) وبجانبه (علىٌّ) فى الخلاء يتأملان قدرةَ الله فى خلقِ الكــونِ

ويسجدان شكرا له على نعمائه .. فمر بهما (أبـو طـالب) فسأل (محمدًا):

- "يا ابن أخى ، ما هذا الدينُ الذى أراك تَدين به ؟" .

قال له (محمد) :

- "أى عم .. هذا ديـنُ الله وديـنُ ملائكتِـه وديـنُ رسـلِه ودينُ أبينـا (إبراهيـم) .. بعثنـى الله بـه رسـولاً إلى العبـادِ وأنت أحقُّ من بذلت له النصيحة ودعوتُه إلى الهدى وأحقُّ من أجابنى إليه وأعاننى عليه" .

فأقسم (أبو طالب) أن يحمى ابن أخيه ما بقى حيا مـهما يكن من أمرٍ .. فلا يَمَسُّه أحدٌ بسوءٍ .

ثم سأل (عليا) :

- "ما هذا الدينُ الذى أنتَ عليه يا بنىَّ ؟ " .

فأجابه (علىٌّ) :

- "يا أبت .. آمنت بالله وبرسولِهِ وصدقتُهُ بمـا جـاء بـه ، وصليتُ معه واتَّبعتُه" .

فقال أبو طالب لابنه (علىٍّ) .

ـ "إنه لم يدْعُك إلا إلى الخير فالزمْهُ" .

ياله من أدبٍ فى الحوارِ ، وصدقٍ فى الإيمان من فتى صغيرٍ لم يبلغ الرابعة عشرة ... هداه فكرهُ إلى الطريقِ القويمِ ودله قلبُه على دينِ الصِّدقِ .. آمن بالنبى ولزمه كما يلزمُ الظلُّ صاحبه .. يحفظ عنه التنزيل ، ويأخذ منه الحديثَ والعملَ .. يدافع عنه فى القتالِ ، وينصره على أعدائه فى السلم .

حفظ الله (عليا) فلم ينحن لصنم أبدًا .. لم ينحن لغير الله ـ فكرَّمَ الله وجهَهُ ـ وكان أولَ من أسلمَ من الفتيانِ وأولَ من صلى خلف النبى ـ فكرَّم الله وجهَهُ ـ .

عرف عنه الوسَامَة والملاحة وقوة البدن وفصاحة اللسانِ والبلاغة والبيان .. كان محاورًا ذكيا قوى الحجةِ جذابَ الحديثِ .. أعطاه الإيمانُ ثقةً بنفسه وبربه فحافظ على مكارمِ الأخلاقِ ، وكان أشدَّ الناسِ قربا من رسولِ الله عليه السلامُ .

وتمضى الأيامُ بالمسلمين فى (مكةَ) يعانون اضطهاد الكفار وتعذيبَهم لهم وتجويعَهم وترويعَهم .. فهاجر

بعضُهم إلى (الحبشةِ) وبَعضُهم إلى (يثربَ) فرارًا بدينهم من هذا البطشِ .. هاجروا متفرقين حتى لا يلفتوا نظرَ أحدٍ إليهم .

لكن قريشا كانت تخشى من هجرةِ النبىِّ .. فهجرتُه تعنى انتشار دعوتِه وقوةَ أتباعهِ وتدعيمَ أنصارهِ .

واجتمع أقطابُ الكفر وأركانُ الوثنيةِ .. يفكرون فى وسيلةٍ للتخلص من صاحبِ الدعوةِ . .كبدايةٍ للقضاءِ على الدعوةِ .. وتفتق تفكيرُهم الشيطانىُّ عن وسيلةٍ تحقق غرضَهم وتُريحهم من متاعبِ هذا الدينِ الجديدِ ..

وكانت مؤامرتُهم تتلخص فى أن يختاروا من كل قبيلةٍ فارسا قويا مسلحا .. ثم يشترك هؤلاءِ جميعا فى قتلِ محمدٍ .. ويتفرق دمُه بين القبائلِ .. ويرضى أهلُه بالديةِ .

وصلت أخبارُ المؤامرةِ إلى النبىِّ .. وكان عددٌ كبيرٌ من أصحابه قد هاجروا إلى (يثربَ) .. إلا أن (محمدًا) كان ينتظرُ أن يأذنَ الله له بالهجرةِ ..

وجاء الإذنُ بالرحيلِ .

وكان لابد من الخديعةِ لتأمينِ رحيلِ النبىِّ الكريمِ الـذى اختار موعدًا غيرَ مألوفٍ .. وخـرج مـن بـاب خلفـىٍّ لبيتـه ودعا (عليا) إلى النومِ مكانَه والتَّدثُّرِ ببردته الخضراءِ ليُوهم من يتلصصـون علـى الـدارِ بـأن (محمـدا) مـازال نائمـا .. وتكونَ الفرصةُ كافِيَةً لابتعـادِ المـهاجرين عـن (مكـةَ) فـى الطريقِ إلى (يثربَ) .

يالها من شجاعةٍ .. أن يقبل الفتى النومَ فى موضعٍ يعلـم أنه هدفٌ لعصبة من المسلحين المتربصين !

يالها من ثقةٍ عظيمةٍ بالله .. ملأت قلـبَ (علـىٍّ) فجعلتْـه يُقبلُ على هذا العملِ الفدائىِّ !

وياله من إيمانٍ صادقٍ ثابتٍ عميقٍ ! .

وكانت مفاجأةً لهؤلاء الفرسانِ المـتربصين بـالنبى عندمـا اكتشفوا أن النائمَ تحتَ الـبردةِ لم يكـن (محمدًا) بـل كـان (عليا) .. الفتى الذى لم يبلغ العشرين من عمره ..

قضى (علىٌ) ثلاث ليالٍ فـى (مكـةَ) أدى فيـها الودائـعَ التى كانت مـع النبـى إلى أصحابـها .. ثـم شـد رحالـه إلى يثربَ ليلحق بالنبى وصحبه من المهاجرين .

كانت (فاطمةُ) بنتُ محمد عليه السلامُ من السيدةِ خديجةَ رضى الله عنها قد بلغتْ سن الزواجِ .. وتمنى كل مسلم أن يرتبط بها ليكون له شرف مصاهرة أكرم خلق الله .. وكان النبى يسكت عن كل راغب فى هذه المصاهرةِ إلى أن جاء (على) بهذا الطلب .. فسُرَّ الرسول ، ووافق على تزويجها إياه على مهر قدره أربعمائة مثقالِ فضة .

وفى ليلة زفاف (فاطمةَ) على (علىٍّ) أهداهما الرسول عليه السلام بساطا من صوف أبيض وقال لابنته :

ـ "والذى نفسى بيده لقد زوجتك فتى سعيدًا فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين" .

سأل النبىُّ يوما :

ـ يا (علىُّ) .. كيف أنت إذا زهد الناس فى الآخرةِ ورغبوا فى الدنيا وأكلوا التراث أكلا لمًّا وأحبوا المالَ حبا جما ؟"

قال (علىٌّ) :

ـ "أتركهم وما اختاروا ، وأختار الله ورسولَه والدارَ الآخرةَ وأصبرُ على مصيبات الدنيا وبلواها حتى ألحقَ بك

إن شاء الله تعالى" ..

قال الرسول :

ـ "صدقتَ .. اللهم افعل ذلك به" .

قدَّس (على) العمل .. ولم يستنكف منه بسيطا أو متواضعا .. فكان يغزل الصوف .. ويسقى الحدائقَ لأصحابها ويتاجرِ أحيانا فى السوقِ ..

إلا أن الحربَ والجهادَ فى سبيل الله كان أعظمَ ما قام به (علىٌّ) فقد شارك الرسولَ فى أغلبِ الغزواتِ ، وكان فتى القتال ورجلَ المواقف .

ويمرض النبىُّ عليه السلام مرضه الأخيرَ فى حياته ... وتشتدُّ عليه الحمى .. وتتعذر عليه الصلاةُ بالناسِ فيأمر (أبا بكر) ليتولى الإمامةَ ...

ويبقى (على) إلى جوار النبى يلازمه ، ويحاول أن يخفِّفَ عنه إلى أن تتحسن صحتُه ، فيخرج إلى المسجد معتمدًا على ولدى عمه (على بن أبى طالب) و (الفضل بن العباس) . ويشارك الناسَ الصلاةَ ويخطب فيهم ... ويفرح

المسلمون لخروج نبيِّهم للصلاةِ ويظنونه قد شُفى .. ويعود كلٌّ إلى عمله .

إلا أنها كانت صحوةَ الموتِ .. فقد قُبض النبى فى هذا اليومِ ... الثامن من يونيه (630م) .

ويقف (علىٌّ) على تجهيزِ النبى ومعه (العباسُ بنُ عبدِ المطلب) وولداه (الفضل) و (قثم) و (أسامة بنُ زيد) مولى رسول الله وظلوا إلى جواره حتى أنزلوه قبره بعد أن ودّعه صحابته والأقربون وجمع هائل من المسلمين .

اعتكف (علىٌّ) فى منزله لا يغادره إلا لصلاة الجماعة وأقسم إلا يبارحَه حتى يفرغ من جمعِ القرآنِ كما تعلمه من رسول الله ..

ولما انتهى من هذه المهمةِ المقدسةِ خرج من بيتهِ فبايعَ (أبا بكر) خليفةً للمسلمين وظل إلى جواره .. يفتيه ويعطيه المشورةَ ..

وكان يومُ (علىٍّ) يتوزّعُ بين قراءةِ القرآن وتدبُّره .. ثم الخروج إلى الصلاةِ .. ما إن يفرغ منها حتى يتخذ لنفسه مكانًا فى المسجدِ .. فيجيب على أسئلة الناس .. ويُفتى من

يسألُه .. ويفسر القرآنَ .. وكان يقول للناس :

ـ "اسألونى" .

ومن أقواله كرم الله وجهه :

"من كساه الحياءُ ثوبَهُ لا يرى الناسُ عيبَهُ" .

"من أصبح على الدنيا حزينا فقد أصبح لقضاء الله ساخطا" .

"العفافُ زينةُ الفقرِ .. والشكرُ زينةُ الغِنَى" .

ولما مات (أبو بكر) وتولى عمرُ بنُ الخطابِ الخلافةَ واصل (على) رسالته فى المشورة والفتوى وإرشاد الناسِ والحكمِ فى القضاءِ .. وكان (عمر) يأنس لرأيه وفتياه .. فإذا ما نصحه بغير ما يرى أخذ بنصيحته ، ثم يطلق صيحتَه المشهورةَ :

ـ (لولا علىٌّ لهلك عمرُ) ...

ثم كان اغتيالُ أميرِ المؤمنين (عثمان بنِ عفان) بدايةَ عهدٍ من الفتنِ والصراعاتِ .. وجاء الإمامُ (علىٌّ) كرّم الله وجهه ليتحملَ مهمة شاقةً وخطيرةً ... فقد ظهر الخوارجُ

فى العراقِ وأعلن أهل الشامُ التمرّدَ وانقسم المسلمون وتعدَّدت بينهم الصداماتُ العسكَرِيةُ .

كان فجرُ الجمعة الثامن عشر من رمضان فى العام الأربعين للهجرة عندما ارتفع الصوتُ الندى القوىُّ يوقظ الناسَ فى طرقات الكوفة .. إنه صوت الإمام (علىٌّ) .

كانت فرحةُ الإمام بالذهاب إلى المسجد .. ومعها هذه النسمات الندية تجدد فى داخله إحساسا بالقوة والفتوة .. فها هو ذا فى طريقه إلى أحب الأماكن إلى قلبه حيث يؤدى أحبّ الأعمال إلى قلبه .. وعند باب المسجد .. وقبل أن يخلع الإمامُ (علىٌّ) نعليه .. داهمه آثمٌ مجرمٌ فشجَ رأسَه بسيفٍ مسمومٍ .

ويقادُ المجرمُ القاتلُ إلى الإمامِ .. فينظر إليه وكأنه يذكّره بعدد المرات التى أكرمه فيها ويقول :

ـ "أحسنوا نُزُلَه ، وأكرموا مثواه ، فإن أعشْ فأنا أولى بدمِه قصاصا أو عفوا ، وإن أمتْ فألحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين ، ولا تقتلوا بى سواه ، إن الله لا يحب المعتدين" ..

هكذا كان الإمامُ (علىٌّ) حتى لحظاته الأخيرة حريصا على حدود الله ، حريصا على وحدة الأمة ، كارها لإراقةِ الدماء .

فماذا كانت وصيّةُ (علىٍّ) لبنيه ؟

أوصيكم بتقوى الله ربِّكم ، ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبلِ الله جميعا ولا تفرقوا ، فإنى سمعت رسول الله عليه السلامُ يقول ..

"إن إصلاحَ البيْنِ أفضلُ من الصلاةِ والصيامِ" ..

وما إن مالت شمسُ نهارِ اليومِ التالى (السبت) حتى صعدت روحُ الإمامِ (علىٍّ) إلى بارئها راضيةً مرضيةً .